

وتدور فلسفة نيتشه في نطاق الصورة المجازية العضوية، فهي تعلي من شأن الإنسان الأعلى والقيم العضوية التلقائية، وتؤكد التغير والضرورة، وتبين أن الحياة قوة تسير في طريقها تلقائياً دون أن يفرض عليها أي هدف أو غاية خارجة عنها، فلا توجد أية مرجعية متجاوزة. وتظهر عضويته المتطرفة في نقده لفكرة الأخلاق بوجه عام، فالقيم الأخلاقية تنطوي على تثبيت للسلوك الإنساني على نحو يباعد بينه وبين مصادره الحيوية المباشرة، بحيث تخضع تصرفات الإنسان لنوع من الآلية، أما الإنسان الأرقى فهو يسعى لمزيد من الحيوية والتفرد في كل شيء. فالموقف العضوي يؤدي إلى الفردية المطلقة والتفرد الكامل على طريقة روسو. ولكن، على طريقة روسو أيضاً، يؤدي هذا الموقف العضوي المتطرف إلى الآلية المطلقة في فكرة العود الأبدي، التي تذهب (كما بين الدكتور فؤاد زكريا في كتابه عن نيتشه) إلى أن العالم «آلة عمياء من شأنها أن تمر بنفس الحالات مرات لا متناهية، بل إن تعريف الآلة هو أنها ما يؤدي وظيفته بشكل دوري منتظم، بحيث يعود دائماً إلى نفس الحالات التي مر بها دون أي تغير». أي أننا انتقلنا من العضوية المطلقة إلى الآلية العمياء الصارمة، ولكنهما في واقع الأمر نفس الشيء، فكلاهما يضمّر إنكاراً كاملاً لمقدرة الإنسان على التجاوز وتأكيداً للمرجعية الكامنة. ويلاحظ في الفلسفة البنيوية هذا التمازج التام بين النموذج العضوي والنموذج الآلي. فالبنيوية تنظر إلى البنية باعتبارها كلاً عضوياً لا يحتاج إلى شيء خارجه. فالمجتمع بنية، والنص بنية، والتاريخ بنية، وكلها بنى تتحرك من الداخل، ولكنها في نهاية الأمر خاضعة لنموذج رياضي هندسي، ولذا فإن الحركة ذات المصدر العضوي الكامن (الجواني) تتبع نسقاً هندسياً (برانياً). وكل التفكير البنيوي يهدف إلى السيطرة على الواقع من خلال هذه النماذج. ويستخدم علم الاجتماع الغربي صورة مجازية عضوية وأخرى آلية للتمييز بين الجماينشافت (الجماعة العضوية المترابطة التراحمية) والجيسليشافت (المجتمع التعاقدية)، وهو تمييز بين العضوي والآلي.